

الفصل الأول:

مفهوم البيداغوجيا والديداكتيك

المبحث الأول: مفهوم البيداغوجيا

تعني البيداغوجيا (*la pédagogie*) ، في دلالاتها اللغوية، تهذيب الطفل وتأديبه وتأطيره وتكوينه وتربيته. وقد تعني الذي يرافق المتعلم إلى المدرسة. وتدل أيضا على التربية العامة، أو فن التعليم، أو فن التأديب، أو نظرية التربية التي تنصب على جميع الطرائق والتطبيقات التربوية التي تمارس داخل المؤسسة التعليمية. وقد يكون المقصود بها كذلك العلم الذي يتناول التربية في أبعادها الفيزيائية، والثقافية، والأخلاقية.

ومن المعلوم، أن كلمة البيداغوجيا " إغريقية الأصل، وكانت تدل على العبد الذي يرافق الطفل في تنقلاته، وبخاصة من البيت إلى المدرسة. ولقد تطور استعمال الكلمة، وأصبح يدل على المربي (*Pédagogue*). والبيداغوجيا هي جملة الأنشطة التعليمية- التعلمية التي تتم ممارستها من قبل المعلمين والمتعلمين¹."

وأكثر من هذا، فالتربية لها علاقة وثيقة بالمدرس والمتعلم، بل تنفتح على الإدارة والأسرة والمحيط الخارجي الذي يؤثر في المدرسة. وقد تعني البيداغوجيا تلك النظرية التربوية التي تهتم بالمتعلم في مختلف جوانبه السلوكية والتعلمية والتثقيفية، وتقدم مجموعة من النظريات التي تسعف المتعلم في تعلمه وتكوينه وتأطيره. ومن ثم، فالبيداغوجيا متعددة الاختصاصات. كما تنفتح على علوم عدة، مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، والبيولوجيا، والديموغرافيا، والإحصاء، والاقتصاد، والفلسفة، والسياسة، وعلم التخطيط، وعلم التوجيه، واللسانيات، والسيميوطيقا، وعلم التدبير، وعلم الإدارة، وعلم الإعلام...

هذا، وتنبني البيداغوجيا على ثلاثة عناصر رئيسية هي: المعلم، والمتعلم، والمعرفة. أي: إن المعلم هو الذي ينقل المعرفة إلى المتعلم عبر المضامين والمحتويات، والطرائق البيداغوجية، والوسائل الديدانكتيكية...

¹ - أحمد أوزي: المعجم الموسوعي لعلوم التربية، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م، ص: ١٥٠.

ويعني هذا أن ثمة مرتكزات تربوية ثلاثة: المعلم، والمتعلم، والمعرفة. فالمعلم هو الذي يقوم بمهمة تكوين المتعلم، ضمن علاقة بيداغوجية. وما يعلمه المعلم من معارف وأفكار ومحتويات ومضامين وخبرات وتجارب يدخل ذلك ضمن علاقة ديداكتيكية. أما ما يحصله المتعلم من معارف ومعلومات يدخل ضمن علاقات التعلم. والجامع بين المرتكزات الثلاثة يسمى بالفضاء البيداغوجي. ومن هنا، يتضمن هذا الفضاء التربوي ثلاث علاقات أساسية هي: العلاقة الديداكتيكية (المعلم ← التعليم ← المعرفة)، والعلاقة البيداغوجية (المعلم ← التكوين ← المتعلم)، وعلاقة التعلم (المتعلم ← التعلم ← المعرفة)



وبناء على ماسبق، فإن التربية فعل تربوي وتهذيبي وأخلاقي، يهدف إلى تنشئة المتعلم تنشئة اجتماعية صحيحة وسليمة. ومن جهة أخرى، تساهم التربية في الحفاظ على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، وتسعى جادة لتكوين المواطن الصالح. وكذلك تسعى إلى تغيير المجتمع بالتدرج، والدفع به نحو طريق التقدم والازدهار بتحقيق الديمقراطية التشاركية، والعدالة

الاجتماعية، والمساواة المثلى. علاوة على ذلك، فالتربية هي التي تنشئ المجتمع نشأة أخلاقية، وترفع مكانته وشأنه ومستواه التنموي، وتوصله إلى مصاف الدول المتقدمة والمزدهرة. وتسعى التربية جادة إلى إدماج الفرد في المجتمع تكيفا وتأقلمًا وتصالحا وتغييرا، كما تسعى إلى " الإنماء الكامل لشخصية الإنسان، وتعزيز حقوق الإنسان والحريات الأساسية. يعني تكوين أفراد قادرين على الاستقلال الفكري والأخلاقي، ويحترمون هذا الاستقلال لدى الآخرين، طبقا لقاعدة التعامل بالمثل التي تجعل هذا الاستقلال مشروعا بالنسبة إليهم."^٢

وعلى العموم، فالتربية هي وسيلة لتحقيق الإبداع والابتكار، و طريقة في الاستكشاف والتأويل والبحث ودمقرطة المجتمع، وترتكز على الحرية، والمبادرة الفردية، وسيادة النقاش الهادف ، وتمثل النقد البناء والحوار السليم من أجل بناء مجتمع متقدم واع، يساهم في خلق الحداثة وبنائها، وإثراء العولمة بما لديه من طاقات منتجة، واختراعات ومكتشفات، ومستجدات نظرية وتقنية وعلمية ومعلوماتية. وفي هذا السياق، يقول محمد لبيب النجيجي: " ولما كان هدف التربية الأساسي هو تنمية التفكير واستغلال الذكاء ، فمعنى هذا أن التربية تعمل من أجل الحرية الإنسانية. فالتأكيد على نمو الطفل إنما هو تأكيد على تحرير قدراته العقلية من قيودها، وإتاحة الفرصة لها للانطلاق حتى تستطيع أن تستخدم بطريقة فعالة إمكانات البيئة التي يعيش فيها. ويصبح المجتمع الحر هو المجتمع الذي يشترك أفراده أيضا في تطويره وتوجيه التغيير الاجتماعي الحادث له.

وعندما يتمتع أفراد المجتمع بالحرية، فإن التربية تكون بذلك قد أسهمت في بناء مجتمع مفتوح. ونعني بالمجتمع المفتوح المجتمع الذي يسعى عن قصد وتصميم في سبيل تطوره، ولا يعمل فقط على المحافظة على الوضع الراهن. وهذا المجتمع هو مجتمع قد نظم تنظيما يدخل في اعتباره حقيقة التغيير في الأمور الإنسانية. وهو مجتمع يقبل التغيير على أنه وسيلة

^٢ - جان بياجي: التوجهات الجديدة للتربية، ترجمة: محمد الحبيب بلكوش، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م، ص: ٥٢.

للقضاء على الفساد والانحلال، وأن الذكاء الإنساني والمجهود التعاوني من جميع أفراد المجتمع تؤدي جميعا إلى نمو الإنسانية وتقدمها.^٣ وينضاف إلى ذلك أن التربية تحقق مجموعة من الوظائف الجوهرية، كالتعليم، والتنقيف، والتطهير، والتهذيب، والتنوير، وتحرير الفكر من قيود الأسطورة والخرافة والشعوذة، والسمو بالإنسان نحو آفاق إيجابية ومثالية.

المبحث الثاني: مفهوم الديداكتيك

إذا كانت البيداغوجيا تخصصا نظريا عاما ، يتحكم في العلاقة التي تكون بين المعلم والمتعلم، فإن الديداكتيك (**la didactique**) هو تخصص عملي تطبيقي يتعلق بتدريس مادة معينة، إذ نقول: ديداكتيك العربية، وديداكتيك الفرنسية، وديداكتيك الرياضيات، وديداكتيك العلوم.... ويعني هذا إذا كانت البيداغوجيا مرتبطة بالمتعلم ونظريات التعلم، فإن الديداكتيك لها حيز ضيق، يتعلق بمجال دراسي معين، أو ما يمكن تسميته كذلك بالتربية الخاصة.

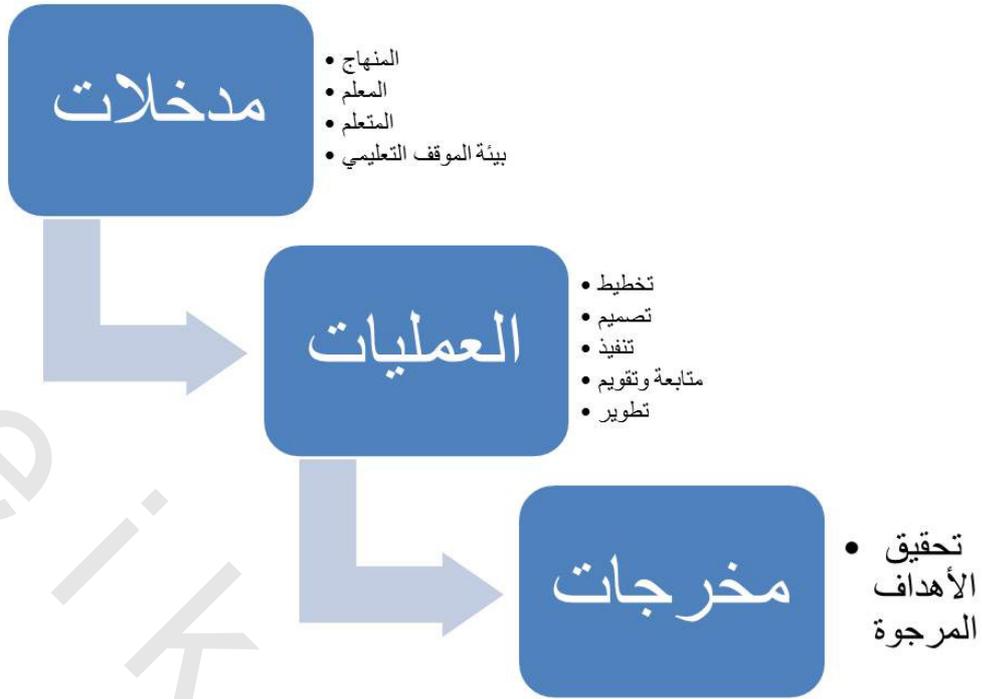
وللتمييز بين البيداغوجيا والديداكتيك، فالأولى عبارة عن نظرية عامة تعنى بتربية الطفل. في حين، تهتم الثانية بالتدريس ، وتتخذ طابعا خاصا. وإذا كان مصطلح البيداغوجيا قد ظهر قديما مع اليونان، وكان يعني تهذيب الطفل وتأديبه، فإن مصطلح الديداكتيك قد ظهر في منتصف القرن العشرين ، و" استخدم بمعنى فن التدريس أو فن التعليم (Art d'enseigner). هذا هو التعريف الذي قدمه قاموس (Le Robert) سنة ١٩٥٥ وقاموس (Le Littré) سنة ١٩٦٠. وابتداء من هذا التاريخ، أصبح المصطلح لصيقا بميدان التدريس، دون تحديد دقيق لوظيفته. وهناك من منطري علوم التربية من اعتبر هانس إبلي (Hans Aebeli) أول من اقترح عام ١٩٥١ م إطارا عمليا لموضوع الديداكتيك، في مؤلفه (La

^٣ - محمد لبيب النجحي: مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م، ص: ٢٤٠.

لنتائج السيكولوجيا التكوينية.^٤ حيث نظر إلى الديدانكتيك ك مجال تطبيقي

نعني بالديدانكتيك طريقة التدريس أو ما يسمى بالعملية التعليمية- التعليمية، وتجمع هذه العملية بين طرفين أساسين هما: المعلم والمتعلم. ومن ثم، تتبنى العملية الديدانكتيكية على المدخلات، والعمليات، والمخرجات، والتغذية الراجعة. وقد تكون المدخلات أهدافا أو كفايات أو ملكات أو غيرها من التصورات التربوية الجديدة المعترف بها رسميا. و تستهدف هذه المدخلات تسطير مجموعة من الكفايات المزمع تحقيقها في شكل أهداف إجرائية سلوكية، قبل الدخول في مسار تعليمي، أو تنفيذ مجزوءة دراسية، ويتم ذلك بوضع امتحان تشخيصي قبلي في شكل وضعيات إدماجية. يعني هذا أن العملية التعليمية- التعليمية تنطلق من مدخل أساسي يتمثل في تحديد الأهداف الإجرائية أو الكفايات النوعية من أجل التثبيت من تحقيقها. لذا، لابد أن يختار المدرس المحتويات المناسبة، والطرائق البيداغوجية الكفيلة بالتبليغ وتسهيل الاكتساب والاستيعاب. ثم هناك الوسائل الديدانكتيكية التي يستعين بها المدرس لتقديم درسه وتوضيحه بشكل جيد. أما المخرجات، فتقترن بقياس الأهداف والقدرات والكفاءات لدى المتعلم على مستوى الأداء والممارسة والإنجاز. ويتحقق هذا القياس عبر محطات التقويم التشخيصي والمرحلي والنهائي. ولا يمكن الحكم على الهدف أو الكفاية إلا بالتقويم الذي قد يكون تشخيصيا أو قبليا أو تكوينيا أو إجماليا أو إسهاديا أو مستمرا أو إدماجيا... وبعد ذلك، نلتجئ إلى التغذية الراجعة والدعم والمعالجة الداخلية والخارجية. ويعني هذا كله أن الديدانكتيك أو التربية الخاصة تعتمد على الأهداف أو الكفايات من ناحية أولى، والمضامين والطرائق والوسائل الديدانكتيكية من ناحية ثانية، والتقويم والفيديباك من ناحية ثالثة.

^٤ - أحمد أوزي: المعجم الموسوعي لعلوم التربية، ص: ١٤٠.



المبحث الثالث: مكونات العملية الديدانكفكفة

تنبني العملية الديدانكفكفة أو العملية التعلفمفة-التعلفمفة على أربع محطات بنفوفة وتدفبرفة أساسفة هف: المدخلات، والعمليات، والمخرجات، والتغذفة الراجعة. وفعنف هذا أن الديدانكفكفة تعنف بتدفبر العملية التعلفمفة - التعلفمفة على مستوى المدخلات (الأهءاف والكفافاء) ، والعمليات (المحتوفاء والطرائق ووسائل الإفضاح)، والمخرجات (التقوفم، والففءباك، والمعالفة، والءعم). ولا ننسف أفضا تدفبر التعلفمات، وتدفبر الإفقاءات الزمائفة، وتدفبر الفضاءات الءراسفة، وتدفبر عملفة المراقفة والتقوفم.

وقء فقصء بالعملفة الديدانكفكفة ما فسمى بتدفبر القسم وإءارته (*Gestion de classe*). ومن ثم، فللءفءانكفكفة علاقة وثفقة بمصطلحات أءرف، مثل: الإلقاء، والتدفرفس، وإءارة الصف، وقفاءته ، وتدفبره...

ومن هنا، فعنف التدفبر الءفءانكفكفة ببناء وضعفاء تعلفمفة- تعلفمفة تطبفقفة فف مءة معفنة، وتدفبرها فف مستوى ءراسف معفن، أو ضمن مستوى

دراسية مختلفة من مستويات المدرسة الابتدائية أو الإعدادية أو التأهيلية، إما داخل فصل دراسي أحادي، وإما داخل فصل دراسي مشترك، اعتمادا على مجموعة من الوثائق والبرامج الرسمية، باستعمال أشكال التنفيذ وفق مقاربات متنوعة ومختلفة، مثل: المقاربة الإبداعية، والمقاربة بالمشامين، والمقاربة بالأهداف، والمقاربة بالذكاءات المتعددة، والمقاربة بالملكات، والمقاربة بالكفايات و الإدماج... ويعني هذا أن التدبير الـديداكتيكي هو بناء الدرس في شكل وضعيات ديداكتيكية وإدماجية، حسب مقاطع فضائية وزمانية معينة، بالتركيز على مجموعة من الأنشطة التي يقوم بها المعلم والمتعلم معا، وفق طرائق بيداغوجية ووسائل ديداكتيكية معينة، مع تمثـل معايير ومؤشرات محددة في التقويم والمعالجة.

وعليه، ينصب التدبير الـديداكتيكي على تدبير الفصل الدراسي و التعلـمات وفق مقاربات مختلفة. لذا، فمهمة تدبير الفصل الدراسي مهمة مركبة، تتطلب من المدرس قدرات متعددة، سواء تعلق الأمر بتنظيم وضعيات التعلم، أو تدبير التعلـمات، أو تحفيز المتعلمين، أو ضبط القسم. ومن ثم، يشكل تدبير التعلـمات جانبا من جوانب تدبير الفصل الدراسي.

وينضاف إلى هذا أن التدبير الـديداكتيكي يهتم بالوضعيات التعليمية-التعلمية وفق مقاطعها المتنوعة والمختلفة، كأن يكون مقطعا دراسيا ابتدائيا أو وسطيا أو نهائيا. كما ينبني هذا التدبير على فلسفة الأهداف والكفايات الإدماجية، سواء أكانت نمائية أم مستعرضة، مع الانفتاح على تقنيات التربية الخاصة وعلوم التربية تخطيطا وتنظيما وتنسيقا وقيادة وتقويما.



المطلب الأول: أهداف التدبير الـديداكتيكي

تتمثل أهداف التدبير الـديداكتيكي في إجراء الكفايات والأهداف في أرض الواقع، بتنفيذها وفق وضعيات ديداكتيكية مجسدة ، في شكل خطاطات مفصلة، وجذاذات مقطعية، قابلة للتنفيذ والتطبيق. كما يهدف التدبير الـديداكتيكي إلى بناء وضعيات ديداكتيكية إجرائية وتطبيقية ، في شكل مقاطع تعليمية - تعلمية، تشمل مختلف أنشطة المعلم والمتعلم، وأنواع التقويم والمعالجة، في إطار مكان محدد، وزمن معين. بمعنى أن التدبير ينصب على تنظيم مختلف العمليات الـديداكتيكية، في وضعيات إشكالية بسيطة ومعقدة في المدرسة الابتدائية أو غيرها من الأسلاك الدراسية ، سواء أكان ذلك في الأقسام الصفية الأحادية أم الأقسام الصفية المتعددة والمشاركة. وغالبا، ما يتخذ التدبير طابع التخطيط والتنظيم وفق وضعيات إدماجية قابلة للتقويم والمعالجة والقياس والإشهاد، في شكل مقاطع دراسية محددة ديداكتيكية وإيقاعيا.

المطلب الثاني: أهمية التدبير الديدائكتيكي

يلاحظ أن للتدبير الديدائكتيكي أهمية كبرى، وتتمثل هذه الأهمية الإستراتيجية في عقلنة العملية التعليمية - التعليمية، وربط التخطيط بالتنفيذ والتطبيق والتقويم، وتحويل التمثلات المجردة إلى مخططات عملية سلوكية، وأجراء الكفايات والأهداف المسطرة تطبيقاً وتنفيذاً. كما أن التدبير آلية ضرورية لتحقيق الجودة الكمية والكيفية، وأداة ناجعة للتخلص من الاضطراب والعشوائية والعفوية. وينضاف إلى ذلك، أن التدبير آلية مهمة لتحسين القيادة التربوية وتجويدها، وتنظيم العملية التعليمية- التعليمية وفق مقاييس منهجية علمية مقننة وموضوعية. ومن ثم، فالتدبير إدارة شاملة لجميع العمليات التي تعرفها العملية الديدائكتيكية من بدايتها حتى نهايتها.

المطلب الثالث: وظائف التدبير الديدائكتيكي

من المعلوم أن للتدبير الديدائكتيكي وظائف عدة، منها : وظيفة التخطيط المرحلي على المستوى البعيد أو على المستوى المتوسط أو على المستوى القريب، وينبني هذا التخطيط بدوره على عملية الاستشراف والتنبؤ... وتتمثل الوظائف الأخرى للتدبير في: وظيفة التسيير، ووظيفة التوجيه والوصاية، ووظيفة التنظيم، ووظيفة التطبيق، ووظيفة التنفيذ، ووظيفة التحكم، ووظيفة القيادة، ووظيفة التشكيل، ووظيفة التنسيق، ووظيفة المراقبة المرحلية أو المستمرة، ووظيفة التوقع، ووظيفة التقويم والتصحيح، ووظيفة الدعم والتوليف والمعالجة... إلخ

المطلب الرابع: مرتكزات التدبير الديدائكتيكي

ينبني التدبير الديدائكتيكي على مجموعة من المرتكزات المنهجية التي يمكن حصرها في أنشطة المعلم وأنشطة المتعلم التي تقدم عبر مجموعة من المقاطع الدراسية (المقطع الاستهلاكي، والمقطع التكويني، والمقطع النهائي)، والانطلاق من مجموعة من الأهداف والكفايات المسطرة،

وتحديد فضاء التدبير، والتركيز على الإيقاع الزمني تشخيصا وتكويناً ومعالجة، ورصد الوضعيات الديدانكتيكية والإدماجية، وتنظيمها في شكل جذابة دراسية تخطيطاً وتطبيقاً وتنفيذاً، واختيار أنواع الطرائق البيداغوجية والوسائل الديدانكتيكية التي تسعف المدرس والمتعلم معا في التعامل مع الوضعيات الكفائية، وأنواع أخرى من الوضعيات المقدمة .

ويعني هذا كله أن التدبير يأتي بعد مرحلة التخطيط السنوي والمرحلي والديدانكتيكي، وينصب اهتمامه على مجال التعلم، ببلورة وضعيات التعلم، وتبيان كيفية إنجاز الدرس، وتحديد طرائق تدبير القسم، في علاقة جدلية بمجال التخطيط من جهة، ومجال التقويم والدعم من جهة أخرى.

وهكذا، يتطلب التدبير الديدانكتيكي أن يتعرف المدرس إلى مختلف منهجيات التدريس، في مختلف المستويات والأسلاك التعليمية (الابتدائي، والإعدادي، والثانوي)، كأن يعرف منهجية القراءة، ومنهجية الخط والكتابة، ومنهجية التعبير، ومنهجية النحو والصرف والإملاء والشكل، ومنهجية المحفوظات، ومنهجية التربية الإسلامية، ومنهجية الوضعيات الإدماجية والتقويمية...و يعرف أيضا كيف تتوزع الحصص الدراسية وغلافها الزمني، ويعرف كذلك أنواع وضعيات التعلم من أجل تحديد الطرائق البيداغوجية والوسائل الديدانكتيكية الملائمة لتقديم المقطع الدراسي أو مجموعة من المقاطع الديدانكتيكية. ومن جهة أخرى، يستلزم التدبير الديدانكتيكي التعرف إلى تقنيات التنشيط والتواصل، وإعداد معينات ديدانكتيكية ملائمة للمقطع (المورد)، وتكييف مختلف التقنيات التنشيطية والتواصلية مع خصوصيات القسم (قسم حضري، وقسم مشترك، وقسم مكتظ...)، مع تنويع تقنيات التواصل مع التمرکز حول المتعلم، واستثارة قدراته الكفائية والإدماجية، والانطلاق من نظريات التعلم أثناء التدبير وبناء الدرس، كالانطلاق - مثلا - من النظرية السلوكية أو النظرية الجشطالتيّة، أو النظرية التكوينية لجان بياجيه، أو البيداغوجيا الفارقية، أو المقاربة اللاتوجيهية، أو البيداغوجيا المؤسسية... ومن الضروري، أن يتعرف المدرس والمتعلم معا إلى مبادئ الإدماج، وطريقة إنجاز ملائمة للوضعيات. أي: رصد مختلف معايير التقويم، وتحديد مؤشرات، ووضع خطط افتراضية للدعم والمعالجة والتصحيح.

المطلب الخامس: شروط التدبير الـديداكتيكي

تراعى في التدبير الـديداكتيكي مجموعة من الشروط المهمة، ويمكن حصرها في الأنواع التالية:

- ① مراعاة الشروط السوسيو تربوية (الأقسام الحضرية، والأقسام المكتظة، والأقسام المشتركة...).
- ② مراعاة خصوصيات التلاميذ النفسية والاجتماعية والاقتصادية.
- ③ مراعاة الفوارق الفردية بتطبيق البيداغوجيا الفارقية.
- ④ مراعاة الإمكانيات البشرية والمادية والمالية والعدة الإدارية.
- ⑤ الانطلاق من بيئة التلاميذ ومحيطهم النفسي والاجتماعي والثقافي والديني والسياسي والاقتصادي.
- ⑥ احترام الإيقاعات الزمنية والتنظيمات المكانية والصفية.
- ⑦ الالتزام بالمقررات الرسمية والتوجيهات الوزارية .
- ⑧ تمثل فلسفة التربية التي تنتهجها الدولة ، كالانطلاق من بيداغوجيا الكفايات والإدماج - مثلا - .
- ⑨ العمل على تحقيق الجودة كما وكيفا.
- ⑩ ربط مخرجات التدبير الـديداكتيكي بمدخلاته الرئيسية.